[152] خطبة مروان بن الحكم بين يدى معاوية قال بعد التسليم عليه بالخلافة: إن ا عظيم خطره، لا يقدر قادر قدره، خلق من خلقه عبادا، جعلهم لدعائم دينه أوتادا، هم رقباؤه على البلاد، وخلفاؤه على العباد، أسفر بهم الظلم، وألف بهم الدين، وشدد بهم اليقين ومنح بهم الظفر، ووضع بهم من استكبر، فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك في سالف زمامنا، وكنا نكون لهم على الطاعة إخوانا، وعلى من خالف عنها أعوانا، يشد بنا العضد، ويقام بنا الاود، ونستشار في القضية، ونستأمر في أمر الرعية، وقد أصبحنا اليوم في أمور مستحيرة ذات وجوه مستديرة، تفتح بأزمة الضلال، وتجلس بأهواء الرجال، يؤكل جزورها (1)، وتمق أحلابها (2) فما لنا لا نستأمر في رضاعها (3) ونحن فطامها وأولات فطامها ؟ وايم ا لولا عهود مؤكدة، ومواثيق معقدة، لاقمت أود وليها، فأقم الامر يا بن أبي سفيان وأهدئ (4) من تأميرك الصبيان، واعلم أن لك في قومك نظرا، وأن لهم على مناوأتك وزرا (5). فغضب معاوية من كلامه غضبا شديدا، ثم كظم غيظة بحلمه، وأخذ بيد مروان، ثم قال: إن ا قد جعل لكل شئ أصلا، وجعل لكل خير أهلا ثم جعلك في الكرم مني محتدا، والعزيز مني والدا، اخترت من قروم (6) قادة، ثم استللت سيد سادة، فأنت ابن ينابيع الكرم، فمرحبا بك وأهلا من ابن عم ذكرت خلفا مفقودين، شهداء صديقين، كانوا كما نعت، وكنت لهم كما ذكرت، وقد أصبحنا في أمور مستحيرة، ذات وجوه مستديرة، وبك وا يا ابن العم نرجو استقامة أودها، وذلولة صعوبتها، وسفور ظلمتها، حتى يتطأطأ جسيمها (7)، ويركب بك عظيمها، فأنت نظير أمير المؤمنين بعده، وفي كل شدة عضده، وإليك عهد عهده، فقد وليتك قومك، وأعظمنا في الخراج سهمك، وأنا مجيز (8) وفدك، ومحسن رفدك (9)، وعلى أمير المؤمنين غناك، والنزول عند رضاك.

_____

(1) يؤكل جزورها: يؤكل لحمها. (2) وتمق أحلابها: يشرب لبنها جميعه فلا يترك منه شئ والمراد بالجملتين أن معاوية يستأثر بكل شئ في الخلافة ولا يترك لمروان منها شيئا. (3) يريد مالك لا تأخذ رأينا في الخلافة ونحن قادرون على منع درها عنك. (4) أهدئ: أبطئ وترو ولا تتسرع. (5) الوزر الملجأ والمستعان. (6) القروم جمع قرم وهو الشجاع. (7) يتطأطأ جسيمها: حتى يذلل صعبها. (8) مجيز وفدك: معطيهم جوائز. (9) الرفد: العطاء. (*)